

انطون سعادة والقضية الفلسطينية

عقدت في البيت الفلسطيني يوم 01 آذار 2008

مساهمة سمير جبور

متى وكيف بدأ اهتمام سعادة بالقضية الفلسطينية ؟

ليس من السهل في اطار هذه الندوة ان نفي انطون سعادة حقه ازاء الدفاع عن فلسطين والتنبيه من الخطر الصهيوني عليها. فعبر جميع المراحل والمحطات التي مرت بها القضية الفلسطينية، كانت له صولات وجولات. فلم يترك مناسبة ولا منبرا الا وتحديث فيه عن فلسطين حتى غدت القضية الفلسطينية جزءا لا يتجزأ من مشروعه القومي. وعلى اعتبار انها تشكل الجزء الجنوبي من دولة اسرائيل الكبرى

ففي خطابه الذي القاه يوم 2 آذار 1947 اكد على البعد القومي للقضية الفلسطينية فاعلن ان " ارادة القوميين الاجتماعيين هي انقاذ فلسطين من المطامع اليهودية واشتراكاتهما .. وان انقاذ فلسطين هو امر لبناني في الصميم ، كما هو امر شامي في الصميم كما هو امر فلسطيني في الصميم. والخطر اليهودي على فلسطين هو انقاذ جنوب سوريا " خطر على سوريا كلها ، وهو خطر على جميع هذه الكيانات ". وكان يدعو دائما الى من الخطر " مؤكدا على مركزية القضية الفلسطينية والقضية القومية للصراع ضد الاستعمار الصهيوني

اسفرت الحرب العالمية الاولى عن وقوع منطقة الهلال الخصيب بكاملها تحت السيطرة الاستعمارية الفرنسية- البريطانية والصهيونية الاستيطانية بموجب مؤتمر لوزان (1920) تنفيذا لاتفاقية سايكس-بيكو (1916) التقسيمية

ظهرت كتابات انطون سعادة الاولى حول القضية الفلسطينية خلال عامي 1922 و 1923 اذ استشراف مشروع الحركة الصهيونية وخطره على " سوريا الطبيعية " رابطا بين وعد بلفور (1917) الذي اقر انشاء " وطن قومي لليهود" في فلسطين وبين اتفاقية سايكس - بيكو التي قسمت " سوريا الطبيعية " الى خمسة وللتصدي لهذا الوضع حاول عام 1925 تاليف حزب لتوحيد الجالية السورية في البرازيل تحت . كيانات فاسس "حزب 1927 اسم " الشبيبة الفدائية السورية ". ولكنه لم يلاق نجاحا . واعاد المحاولة عام السوريين الاحرار " الذي توقف نشاطه بعد 3 سنوات

أدرك الزعيم منذ البداية ان الاستعمار الغربي كان يبغى من وراء قيام اسرائيل كخنجر في خاصرة الشرق العربي للحؤول دون نشوء اية نهضة عربية تؤدي في النهاية الى القضاء على اية محاولة لقيام اي شكل من اشكال الوحدة العربية

وفي 11 حزيران 1938 قام سعادة بجولة على فروع الحزب في المغتربات وسافر برا من بيروت الى الاردن ومنها الى فلسطين حيث اجتمع مع السوريين القوميين في عمان وفي حيفا ثم الى قبرص والمانيا ومنها الى البرازيل

لقد كرّس سعادة جهده ووقته وحياته للشأن القومي الذي كان هاجسه الاكبر في وقت يسيطر على المنطقة

انتداب فرنسي وآخر بريطاني وبروز المشروع الصهيوني ازاء فلسطين ، وسيطرة تركيا على الاسكندرون عام 1939 . وكان من الاوائل الذين نبهوا الى ان الحركة الصهيونية ستؤدي الى تشريد الفلسطينيين . وهو اول من اقترح ان تكون المواجهة من قبل كل كيانات سوريا الطبيعية لان وجود اسرائيل سيعود عليها بالضرر كلها ولن يكون هذا الضرر محصورا بفلسطين وحسب. واعلن ان " الامة السورية لا تريد ان تختنق ". بين الضغط التركي والضغط الصهيوني

لن اتوقف الآن كثيرا عند جميع نشاطات ومواقف انطون سعادة من القضية الفلسطينية. فقد غدت جميعها معروفة وكتب عنها الكثير . ولكنني ساتوقف عند بعض التفاصيل وبعض الاستشهادات المطولة من الادبيات الصهيونية لاعطاء فكرة عامة عن نظرة بعض المؤرخين والكتاب الصهيونيين الى سعادة القائد ومشروعه القومي.

مشروع سعادة في الادبيات الصهيونية

يشكل احتمال قيام اي شكل من اشكال الوحدة العربية "الهلال الخصيب" او "سوريا الكبرى" او "سوريا الطبيعية" او ما درجت تطلق عليه اسرائيل " الجبهة الشرقية " (عسكريا) الهاجس الاكبر للحركة الصهيونية التي تحالفت مع الاستعمار الغربي للحوول دون تحقيق اي واحد من هذه المشاريع . فعلى سبيل المثال ، ذكر موشيه شاريت في مذكراته (130-131) ان موشيه ديان رئيس الاركان تساءل " ماذا لو اغتتم العراق فرصة القلائل القائمة في سوريا الآن وغزا هذا البلد وحقق مشروع الهلال الخصيب؟ عندئذ علينا التحرك وخلق جملة من الحقائق . قلت له ان الامر مبكر جدا لتحديد امور على نحو قاطع في امر كله " فيما "لو، واذا

تنشر من حين الى آخر مقالات باللغة العبرية حول احتمالات قيام وحدة بين العرب وحول تنامي الشعور الوطني الوحدوي في العالم العربي وحول النزعات التقسيمية ايضا. ولكن من الصعب ان تجد مادة حول لبنان او سوريا في الادبيات الصهيونية دون ذكر الزعيم وتأثيره في الاحداث والاشخاص

مثلا عرضت ما يسمى " جمعية الدراسات الشرقية " الاسرائيلية بعض هذه الاتجاهات . فقد جاء في احدي مقالات الجمعية بالعبرية انه " نتيجة للتأثر بالثقافة الغربية ، نشأ في الهلال الخصيب وفي مصر ايضا وعي "للافكار القومية لجيل كامل - جيل 1919

وبعد عرض اتجاهات التنكر للعروبة ، النزعة الفينيقية في لبنان والنزعة الفرعونية في مصر ، جاء في مقالة الجمعية الاسرائيلية انه " نشأت في سوريا حركة انطون سعادة "السورية" الذي اقام " الحزب السوري القومي الذي كان معظم اعضائه من المسيحيين. ويزعم سعادة ان هناك قومية سورية تجد تعبيرها لها في التاريخ، وهويشرح كيف قامت هذه القومية ، وعين حدود سوريا(التي تضم اسرائيل وشرق الاردن وحتى الهلال الخصيب باسره). واعتبر سعادة ان اللغة والدين والعنصر انما هي امور تقسم الامة السورية. وزعم ان العرب يتكونون من شعوب كثيرة وليسوا شعبا واحدا . ولكن حركته فشلت وكذلك جميع حركات القومية (الخصوصية) الانصرافية

ذكر الباحث دافيد بيلد تأثير سعادة مقتبسا من اطروحة الدراسات العليا التي انجزها انه "يمكن ملاحظة اربعة اتجاهات متناقضة في الايديولوجيات القومية التي كانت سائدة في بلاد الشام (...). فقد ارسى الهاشميون والمصريون طموحاتهم للسيطرة على المنطقة على ايديولوجيات الوحدة العربية ومشروع سوريا الكبرى لانطون سعادة ، وعلى ايديولوجية سعادة الاصلية التي تجاهلت العروبة وعلقت اهمية تكاد تكون اسطورية "على العلاقة بين المنطقة الجغرافية وبين من ولد فيها

وفي دراسة تحت عنوان " الجامعة العربية والعلاقات العربية – العربية " عرض الباحث أشرف غورين بعض مشاريع الوحدة العربية التي طرحت في أوائل الخمسينات والتي قدم بعضها الى مجلس الجامعة العربية . وكتب انه ورد "في مشروع الدستور السوري الذي وضعه الشيشكلي ونشر يوم 1953/6/21 ان احدى الواجبات الاساسية للدولة هو العمل على تحرير الامة العربية وتحقيق وحدتها . وفي الواقع ان نظام الشيشكلي كان يطمح في ان يوحد تحت سلطته سوريا ولبنان والاردن واراض اسرائيل ، او اجزاء منها ، (الجليل) اي: سوريا الكبرى بزعامه دمشق. وقد اعلن الشيشكلي (الذي كان في حينه عضوا في الحزب السوري الشعبي الذي انشأه انطون سعادة) اعلن ان ثمة حاجة الى الغاء جميع الحواجز بين اجزاء الوطن . " السوري الكبير

وتطرق غورين الى بعض مشاريع الوحدة العربية التي قدمت الى الجامعة العربية بتأثير مشروع سعادة مثل مشروع لبناني بشأن انشاء " هلال خصيب اقتصادي " يضم وحدة اقتصادية تشمل لبنان وسوريا والعراق والاردن . وعلم ان سوريا رفضت الانضمام الى المشروع من دون السعودية ، والسعودية من دون مصر . " وبالنسبة الى مصر كان من الواضح انها ما كانت ستدعم مشروعها كهذا وكتب غورين ايضا عن مشاريع وحدوية اخرى مثل مشروع " الهلال الخصيب " الذي اقترحه الزعيم وجوه مشروع العلمي هو "توحيد المصالح القومية ،" الفلسطينى موسى العلمي في كتابه " عبرة فلسطين الكبرى مع استمرار قيام الحكومات والانظمة " على ان تطبيق الوحدة على "أ) السياسة الخارجية . ب) " . (الاقتصاد .د) التربية والتعليم ها) القضاء و) الشؤون الاجتماعية (الدفاع . ج اقامة الكتل " واثار الى مشروع النشيط الفلسطينى تقي الدين النبهاني الذي اقترح في كتابه " انقاذ فلسطين (التالية :) أ) العراق ب) سوريا الكبرى (..) ، ج) شمال شبه الجزيرة العربية (الحجاز ونجد حتى الخليج الفارسي) د) جنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن وحضرموت) هـ) وادي النيل (مصر والسودان) و) شمال افريقيا (ز) ومع الوقت تتحول هذه الكتل الى دولة وتحدث بيلد الأنف الذكر في مكان آخر عن مشروع حسنى الزعيم الذي اقترح " انشاء حلف عسكري واقتصادي مع اسرائيل واستيعاب 300.000 لاجيء فلسطيني في سوريا" . وعلى الرغم ان بن غوريون "رفض هذا الاقتراح كما يقول بيلد لان " السلام لم يكن على راس اولويات دولة اسرائيل

ولكن الحناوي والشيشكلي " لم يكررا طرح الاقتراح لانهما كان غير قادرين على ذلك بسبب انتمائهما الى جناح قومي متطرف اسسه انطون سعادة . وقد اغتالوا حسنى الزعيم لانه " خان سعادة وتسبب في القبض عليه من قبل اللبنانيين واعدامه على الحدود السورية، في المكان الذي القي القبض عليه فيه. وقد نادى هذا الجناح بانشاء سوريا الكبرى بما في ذلك قبرص..." كتب بيلد

وفي مقالة عن ادونيس كرسها الدكتور يائير حوري ، استاذ الادب العربي في قسم الدراسات الشرقية في جامعة بن غوريون في النقب (نشرت في 1 يناير 2006) كتب ان ادونيس الذي انهى دراسته الجامعية في الفلسفة في جامعة دمشق في الخمسينات " انضم الى الحزب القومي السوري الذي اسسه انطون سعادة ، حتى انه سجن في سنة 1955 لمدة نصف عام بسبب انتمائه الى ذلك الحزب. والاسم الادبي الذي تبناه-ادونيس- هو الصيغة اليونانية للاسم الفينيقي-الكنعاني "ادوني" ومعناه "سيد" او " اله " ، كما اشيع، وينكره ادونيس، فان هذا الاسم اطلقه عليه انطون سعادة، الذي اراد ان يعمق تماثل اعضاء حزبه مع الكيان السوري الفريد ما "قبل العروبة والاسلام

وورد في " المعجم السياسي للعالم العربي الذي وضعه يعقوب شمعوني عرضا للاحزاب السياسية

والمنظمات شبه العسكرية في لبنان مثل الكتائب والنجادة " استمدت التشجيع من النفوذ المتزايد لاييطاليا الفاشية والمانيا النازية . اما المنظمة التي تؤمن بسوريا الكبرى ، وهي ذات طابع فاشيستي واضح، الحزب 1936الذي اسسه انطون سعادة اخرج عن القانون سنة (PPS) " .السوري القومي

وفي دراسة طويلة وموثقة اعدها الباحث يواف غيلبر (نشرت سنة 1991)حول اتصالات كانت تدور بين مبعوثين يهود وسلطان باشا الاطرش عرضوا عليها نقل دروز فلسطين الى سوريا على ان تشتري الوكالة اليهودية القرى الدرزية في فلسطين لتقيم عليها مستوطنات يهودية، المح غيلبران مبعوث الوكالة اليهودية في سوريا بعث تقريراً لرؤسائه ذكر فيه ان " المزيد من المتطوعين السوريين سافروا الى ارض اسرائيل وان انطون سعادة، زعيم الحزب القومي السوري اللبناني غادر منفاه في قبرص وذهب للانضمام الى الثوار.. " في فلسطين

ولكن قلما تجد في الادبيات الصهيونية تحليلاً معمقاً وموضوعياً لفكر انطون سعادة. الا انني عثرت على مقالين اتسما ببعض التحليل والتقييم. الاول ذلك المقال الطويل (3500 كلمة) والنقدي الذي نشره ايلياهو ايلات في مجلة "مولاد" سنة 1972 باللغة العبرية. (ايلات مؤرخ وديپلوماسي. شغل منصب رئيس قسم الشرق الاوسط في الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية في القدس . اول سفير لاسرائيل في الولايات المتحدة ثم في بريطانيا ، وكان رئيس الجامعة العبرية في القدس من سنة 1962-1968. وله عدة مؤلفات حول الصراع من اجل الدولة "). والثاني دراسة اخرى اعدها الباحث " النزاع العربي - الصهيوني واهمها يوسف اولمرت صدرت عن الشعبة الثقافية في وزارة الدفاع الاسرائيلية

وقد تميز مقال ايلات بغزارة المعلومات التي قال انه استمدها من خلال معرفته لسعادة شخصياً خلال الدراسة الجامعية. واسهب في الحديث عن مسيرة والد الزعيم، الدكتور خليل سعادة الذي رصد تنقلاته من ارض الوطن الى المهجر، شارحاً دوره في بعث النهضة القومية .. "استطاع والده ان يساهم مساهمة عظيمة في وذكر انه يعرف سعادة الابن من خلال دراسته في " .المحافظة على الطابع العربي لمعظم المهاجرين الجامعة الاميركية في بيروت

واستهل مقاله قائلاً: انني اتكلم هنا عن احد ابطل المعسكر ، انطون سعادة الذي عرفته معرفة شخصية. وقد حتى الآن لم تحظ شخصيته ونشاطه كأحد كبار "كتب عنه القليل باللغة العبرية"، كما قال .واضاف ايلات محدثي التغييرات الفكرية والتنظيمية في المعسكر العربي، خلال السنوات العشرين الاخيرة ، لم تحظ بتقدير عرفت من سعادة نفسه شيئاً ما عن تاريخ نشاطه واعماله قبل قدومه الى بيروت". " لائق". وكتب ايلات وأشار ايلات الى ان سعادة درس لغات عديدة وهو في البرازيل. علاوة على اللغة العربية الم بالانجليزية الامر الذي ساعده في رحلاته واتصالاته " والبرتغالية والاسبانية والفرنسية والالمانية والايطالية والروسية المختلفة".

فتحت صفحة جديدة في تاريخ الحزب السوري القومي . فقد قرر انطون سعادة 1935 واعتبر ايلات ان "سنة معتمدا على انجازات الحزب كحركة سرية وعلى القوة التنظيمية التي اقامها ، قرر الشروع في نشاط جماهيري متنوع بواسطة عقد اجتماعات علنية ومهرجانات لاعضاء الحزب ، ونشر مواد مدونة طبعت في مطبعة الحزب في بيروت.. " وتحدث عن تغلغل تاثير نفوذ الحزب في الجهاز الحكومي ليكشف النقاب بعد في الحزب "ذلك على ان اسد الايوبي رئيس شرطة بيروت كان "عضوا نشيطاً

وزعم ايلات أن " افكار سعادة الاجتماعية والسياسية انما هي اقرب الى الفاشية الايطالية منها الى مذهب

هتلر... هذا العربي الذي اكتسب ثقافته في البرازيل... وجد صعوبة في تقبل العنصرية النازية . وكانت وتابع ايلات قائلا: " استمعت من سعادة نفسه ذات مرة مديحا واطراء على . "مصادر وحيه كثيرة ومتنوعة مدرسة جورج سوريل { المفكر الاشتراكي الفرنسي ومؤلف كتاب "الثورات العنيفة " } اذ اعتبرها احدي اهم المساهمات في الفكر السياسي في عصره " . وعلق ايلات على ذلك " لاشك في ان سوريل شرب من ينبوع موسليني وهتلر وفرانكو ، تلك المصادر التي استمد منها سعادة افكاره السياسية والاجتماعية " . واستدرك ايلات " بدأ انطون سعادة يعتبر نفسه زعيما قادرا على إحداث تغييرات ثورية في حياة المجتمع " . العربي . وكانت محاربة الانقسام والتمسك بوحدة الامة وسمو (مفهوم) الدولة اركان برنامج الفكرية وكشف ايلات النقاب عن واقعة اخرى " سمعت من انطون سعادة نفسه ومن كبار مساعديه شرحا لحيثيات وكتب . تمسكهم الفكرية والعملية بمشروع سوريا الكبرى " . وان هذا المشروع لن يتحقق الا على مراحل يقول " عرفت انطون سعادة بعد وقت قصير من قدومه الى بيروت ... كان يحرص على شحذ تهذيبه . وكل من التقى به للمرة الاولى يعجب بعينه الثاقبتين واسلوب كلامه الحماسي والواثق . متعصب لارائه وجازم ويعرف كيف يكشف نقاط الضعف لدى الخصم، وضليع ... في موقفه ، وموهوب بقدرة على الاصغاء " . بخبرته في القضايا الاجتماعية والسياسية المختلفة

وقارن ايلات بين حملات موسيليني وهتلر الهجومية الثورية العلنية وبين نشاط سعادة السري الذي " ادى الى انشاء نواة من الانصار المخلصين له ولافكاره، لكي يتغلب على معارضية هيئات وقادة متنفذين " . وتحدث " ايلات عن مفهوم سعادة لفكرة " سوريا الكبرى

ثم انتقل الى الحديث عن نظرة الزعيم الى " الوطن القومي اليهودي " والصهيونية، ووجدت انه قرأ كتبا وادبيات صهيونية. واستمد افكاره عن اليهود من خلال اتصالاته مع يهود البرازيل والولايات المتحدة . . "وفي احد احاديثه عن هذه المواضيع رفض سعادة الصهيونية كونها ، كما كان يعتقد، لا تسعى الى هضم حقوق العرب في ارض اسرائيل (فلسطين) وحسب ، وانما تتناقض مع روح اليهودية نفسها ومع مبادئها . وليس من قبيل الصدفة انهم . وقال ان اليهود هم مزيج خاص من شعب ودين، وهذا يتعارض مع فلسفة الدولة وعندما سألت سعادة ذات مرة : لماذا هو يغوص . يشكلون معضلة في كل مجتمع ودولة يسعيان الى صهرهم في الماضي السحيق بحثا عن اساس تاريخي لسوريا الطبيعية ... ويحرم على الشعب اليهودي - الشعب الوحيد الذي بقي على قيد الحياة من بين جميع الشعوب القديمة في المنطقة- حقه في تجديد حياته في ارض (وطنه اجاب : ان ثقافة آرام كانت اونيڤيرسالية (عالمية

سوريا الكبرى" . عندما تقوم . واكد أن الوضع مختلف بالنسبة الى يهودا " " وجديرة بأن تشكل نموذجا لدولة المتعصبة التي تحمل و عي الشعب المختار، والتي تسعى الصهيونية الى اقامتها من جديد. بيد ان رفض سعادة - وبالمقدار نفسه رفض سلامة موسى وشارل قرم - بان يشكل العهد الاسلامي العربي نقطة انطلاق لاستشرافه السياسي ، هو الذي ميزهم عن القومييين العرب وقربهم بصورة متناقضة ظاهريا ، بمن فيهم " . سعادة ، من الصهيونية اكثر من قربهم من حركة القومية العربية الشاملة ، التي رفضوها بكل اشكالها وخلص ايلات الى القول في هذا الصدد " مهما كانت الصهيونية بالنسبة الى اليهود انفسهم، فان سعادة اعتبرها خطرا كبيرا جدا على فكرة "سوريا الكبرى" . وأشار الى ان اليهود سيشكلون "حجر عثرة في الدولة " . السورية الموسعة التي طرحها سعادة في مشروعه

لقد اسهب ايلات في الحديث عن القوى التي عارضت سعادة ولا سيما حزب الكتائب ودوافعه الانعزالية ومعارضة بعض مسلمي لبنان وسوريا على خلفية فصل الدين عن الدولة على حد قوله . ولكن ايلات جزم بان هذه العقبات لم تردع سعادة وصحبه الذين تعززت حميتهم اكثر فاكثر ، وكان ولاؤهم للحزب لا يعرف " حدودا

واختتم ايلات مقاله ببعض التقييمات الذاتية لمشروع سعادة واسباب فشله في ذلك الوقت فقال : ولكن مصدر ضعفه كان يكمن في انفصاليه عن الواقع الذي . جمع انطون سعادة بين صفات الثوري والقائد " نشط في ظل ظروفه منذ وصوله الى لبنان في سنة 1932 . واقتربت استراتيجيته السياسية ببعض العيوب

بسبب عجزه عن تقييم الحقائق، والتمحيص في تأثيرها على خطته.
ان سعيه الى الغاء الاطر الطائفية كان ضربا من المبالغة وعدم الواقعية . كما ان محاولته اقتلاع القومية " السورية من ارضيتها العربية ، اثارت غضب قطاعات واسعة من الجمهور العربي -الاسلامي ، حتى انها لم توفر له الدعم من قبل الطوائف الاخرى. والصورة والافكار التي اكتسبها من سوريل وغيره حملته على ركوب مغامرات لم يكن لها اساس وتفنن الى امكانات النجاح واعدت بجريرتها
وتعود جذور ماساة سعادة الى تضايف اصولية جنوب اميركية ترعرع في مناخها وتثقف بها ، واندفاع " مزاج حماسي عربي تشبّع به في بيت والده. ان هذا المزيج لم يصمد امام الاختبار، في الوقت الذي كان فيه سعادة المخطط والمنظم ملزما بان يخلي مكانة لرجل سياسي عملي صاحب عزم .. لم يتسن للدكتاتور المحتمل ان يشاهد تحقيق حلمه . والمشهد المعروض الآن في بيروت يذكر الجمهور في المدينة التي نشط واعدت فيها انه كان الاول من سلسلة الثوار والدكتاتوريين الذين صعّدوا على مسرح السياسة العربية خلال والمشهد في الحياة نفسها لا (عشرات السنين الاخيرة ، ونزلوا عنه. وانتهى معظمهم الى ما آل اليه (سعادة " .يزال مستمرا

:والآن استشهد بما قاله صاحب المقال الثاني يوسف اولمرت
زعم اولمرت ان " الايديولوجيا التي ارسى ركانزها انطون سعادة في البرازيل ، تقوم ، بين امور اخرى ("، على ايديولوجية الحزب الفاشيستي المحلي (" الانتغرافي
ولكن اولمرت يلاحظ ان فلسفة سعادة قامت على المفهوم العلماني القومي الذي رفض الانقسام على اساس نشوء الامم " الذي جزم فيه ان هناك " هوية سورية خصوصية، "ديني" . واقتبس اولمرت من كتاب الزعيم وان الجغرافيا والتاريخ اصبغا على سكان " سوريا الكبرى" هوية قومية تختلف عن هوية سائر العرب".
واضاف اولمرت ان : سعادة جزم بان في الشرق الاوسط ، كما في مناطق اخرى في العالم ، كانت واكد ان ثمة اختلافا . الجيوبوليتيكا المفتاح لفهم مسارات تاريخية، وفهم الاختلاف بين المجتمعات والقوميات جوهريا بين سكان " سوريا الكبرى" وبين عرب شبه الجزيرة العربية او مصر. وبحسب مفهومه ، فان "الجغرافيا هي التي شكلت سوريا الكبرى وحولتها الى كيان جيوبوليتيكي متميز

في مركز الصدارة رافضا الوضع الراهن "ويوضح اولمرت ان " هذا المفهوم وضع فكرة "سوريا الكبرى الاقليمي ، الذي نشأ في عهد الانتداب . ولكن انطون سعادة طور نطاقا ايديولوجيا واسعا شمل ايضا ماهية الدولة السورية وكان اول من ارسى في العالم العربي (اذا لم يكن في الشرق الاوسط كله) ايديولوجيته على المفهوم العلماني . وبحسب قوله فان العلمانية تشكل سنداننا مستقرا الذي يمكّن الطوائف والديانات المختلفة في " سوريا الكبرى" من ايجاد عامل مشترك يتبلور بواسطته كيان سياسي واحد ، وبهذا تاثر من دون شك بثورة "كمال اتاتورك العلمانية في تركيا

ويتابع اولمرت قراءته لمفهوم سعادة بقوله "ثمة اساس مهم آخر في عقيدة سعادة هو الحاجة الى اصلاحات اجتماعية . واعتقد انه يمكن تطبيق هذه الاصلاحات بروح الانظمة التوليتارية الفاشية . ولا سيما وفق النموذج الايطالي ... او على الاقل النموذج الالمانى " . ولكن اولمرت استدرج قائلا : " ان فلسفته لم تكن عنصرية في اساس الامر " مضيفا ان " ايديولوجيته جذبت الكثيرين من الشبان العرب ، من جميع ابناء الطوائف والاديان في سوريا ولبنان وفي ارض اسرائيل ايضا (فلسطين)، لانه استشرف حلا شاملا، قوميا واجتماعيا ، ووفر الحلول لمشكلات الهوية، التي برزت لدى قسم من السكان المحليين . وانخرط انصار سعادة في المجالات المختلفة للسياسة العربية خلال الاربعينات والخمسينات والستينيات، وحتى خلال "السبعينات والثمانينات من القرن

وقبل الانتهاء من عرض قراءة اولمرت لفكر سعادة ومشروعه، لا بد من الاشارة الى ان اولمرت ذكر ان الكثيرين من المثقفين العرب تاثروا بفكر سعادة مثل الشاعر سعيد عقل " واولئك المفكرين الذين انتموا الى

م.ت.ف. (مثل الاستاذين هشام شرابي وفايز الصايغ الذين " طوروا " فكرة الدولة العلمانية الديموقراطية ") .
وأشار الى ان الكثيرين من اصحاب المناصب الرفيعة في الاحزاب السورية المختلفة هم من تلامذة سعادة .
وهكذا يقول اولمرت ان " اهمية انطون سعادة وحزبه الاساسية كانت تكمن في البنية التحتية الفكرية التي
" منحهاها للكثيرين من الشباب والاساس الايديولوجي الذي وفراه لحركات كثيرة في المنطقة

وفي مقال في غاية الاهمية للدكتور غي باخور استاذ محاضر ومستشرق وخبير قانوني تحدث فيه عن
شخصية الزعيم، وعن دور مقاتلي الحزب القومي في طرد القوات الاسرائيلية من جنوب لبنان، وما سببه
" اغتيال بشير الجميل من صدمة رهيبه لاسرائيل افشل مشروعها في لبنان . استهل باخور مقالته فكتب
الاذى الذي الحقه باسرائيل هائل، وربما انه لم ينته بعد، ولكنني اشك فيما اذا كان احد في اسرائيل سمع عنه
او عن أعماله . ومع ذلك فان المقصود هو احدى الشخصيات الغربية ، والغامضة والشيفّة في تاريخ الشرق
الاوسط. وهذه القصة تحتوي على كل شيء ، بصورة لا تصدق : خيال جامح ، ووهم خادع ، وسايكولوجية
جماهيرية... واسرائيل اليائسة والمستصرخة، نهاية دراماتيكية، ومفاجآت . ادخلوا معي الى الشرق الاوسط
الخفي عن العين

انها قصة انطون سعادة (1904-1949). (انظر الصورة) اللبناني الذي نسج اسطورة مطلقة، وبالتالي " خلق واقعا

واستطرد الدكتور باخور يتحدث عن انطون سعادة لدى عودته الى لبنان من البرازيل: " عاد الشاب المسيحي
من مناطق اميركا الجنوبية الشاسعة ، ملتحميا ، غامضا، ومغامرا ، عاد الى ارض لبنان النكدة ، حيث ان كل
طائفة هناك تصون ارضها الصغيرة التعيسة ، بيد ان انطون اخذ ينشر فكرة جديدة : يجب اقامة امة عربية
جديدة ضمن الحدود الطبيعية لسوريا التاريخية ، والتي تضم اراضي سوريا ولبنان والاردن والاسكندرونة
" في تركيا وفلسطين... وأطلق على هذه الفكرة "سوريا الكبرى
هو قال هذا ، والألاف اخذت تصغي له ، يجب استنهاض حضارة سوريا العظيمة ، في مواجهة تخلف "

الشرق ، في مواجهة ما
اعتبره تخلف العروبة والاسلام، وحيث سيكون فيها فصل بين الدين والدولة والتي ستبعث " العنصر
السوري" من جديد ، وهذا يعكس الافكار الفاشية في ذلك العصر
ان امرا واحدا لم يقل، لم تكن هناك مملكة سوريا الكبرى. كان كل ذلك من ثمرة خيال انطون سعادة. هل "
كان يقصد ببيزنطية ؟ ام انطاكية ؟ فهذا لم يوضحه ابدا . فكيف يمكن التكلم عن " عنصر سوري" ؟ لم يكن
وجود لمثل هذه الامور على الاطلاق. فقد اعجب بالمانيا وبالنظام الفاشي . ولهذا درس الالمانية ودرّسها .
وغدا انطون سعادة الشاب غورو (المعلم الروحي) للالاف ونادى بالعودة الى ما لم يكن موجودا على
الاطلاق . واقام حزبا جديدا اسمه الحزب السوري الاجتماعي القومي . وذكر شعاره الاحمر المتألق بالصليب
المعكوف الى حد ما

اقام له خيمة بالقرب من منزله في ضهور الشوير ، وكان الشباب يحجون اليه ، واستحوذ على قلوبهم "
بكلامه المعسول عن الرؤيا السورية التي ستوفر السلام والمصالحة والمحبة، وكان الشباب يلتهبون حماسة.
الا ان السلطات اللبنانية والفرنسية لم تتحمس ابدا ... كان مسيحيا، مختلفا، غريبا، لم يكن بالامكان سبر
" اغواره

وعرض باخور الخطوات التالية التي اقدم عليها سعادة " وهذه المرة قطع خطوة اخرى الى الامام: اعد ثورة
.. وخطط في خياله ان يقيم بنفسه مملكة سوريا الكبرى والاسطورية ، توحيده سوريا ولبنان وارض اسرائيل
وخلال تلك المرحلة كان يدعو الى كراهية شديدة لاسرائيل ، فاذا احتلها اليهود ، فكيف ستقوم المملكة
" الاسطورية ؟ ان الكراهية التي نسجها ضد اسرائيل ستلازم لبنان واللبنانيين لسنوات طويلة جدا
انشأ انطون جيشا في الجبال ، جيشا خياليا لمملكة خيالية ، وتدرّب شبابه استعدادا للحظة الكبيرة . "
اللحظة قد أنت في صيف 1949 ، اذ حانت في رايه ساعة النهضة " وحاول "واستطرد باخور ان تلك

احتلال مباني الحكومة وفشل وانتهى به الامر بالاعدام ويتابع باخور روايته: وبالمناسبة، التاريخ يصنع العدل احيانا، ولو جاء متأخرا. فبعد اسبوع من تسليم انطون سعادة الى لبنان اغتيل رئيس سوريا حسني الزعيم، اذ اتهمه الذين اغتالوه بتسليم انطون سعادة الى الحكومة اللبنانية . ورغم الصدمة " لم يختف حزبه السوري الاجتماعي ، بل على العكس استمر قائما ، بل اشتد قوة ". الى حد كبير . تحولت كتاباته الى ادب يكاد يكون دينيا. حفظوه عن ظهر قلب

ثم ذكر باخور ان الرئيس السوري الراحل حافظ الاسد تبنى فكرة سوريا الكبرى " وجعل منها السياسة الرسمية لسوريا". وكان انطون في حينه يناشد اتباعه بالقول " انتم قلائل، ولذا عليكم ان تكونوا ثم ينقل: المستشرق الاسرائيلي الى قضية اغتيال بشير الجميل فكتب يقول
لقد حانت اللحظة الكبرى لذلك التنظيم . ففي ايلول/ سبتمبر 1982 انتخب رئيسا للبنان زعيم موال لاسرائيل" كان هذا بشير الجميل . واشتاطت سوريا غضبا. وقررت منظمة انطون سعادة ان تضرب ، وبالتنسيق مع . المخابرات السورية ، تم اختيار متطوع، شاب مسيحي يدعى حبيب الشرتوني الذي اوكلت اليه المهمة خلال تلك الايام التي اذكرها جيدا، كانت اسرائيل محتفلة. فهذا هو المشروع الاسرائيلي يتحقق، تم احتلال " طريق بيروت -دمشق الذي يربط سوريا بلبنان، وتم طرد م.ت.ف. من بيروت الغربية وقريبا سيكون هناك " رئيس يوقع سلاما مع اسرائيل

:وتابع باخور روايته مشيرا الى انه بعد اغتيال بشير الجميل
(حلم اسرائيل) كانت الصدمة في اسرائيل كبيرة، واخذ الجيش الاسرائيلي ينكفيء جنوبا ، وتبخر الحلم اللبناني فجأة. وحقق انصار انطون سعادة نجاحا كبيرا. ويواصل الشبان من اتباع انطون مطاردة الجيش الاسرائيلي في جنوب لبنان، مع مجموعة من المنتحرين والمنتحرات ، سببوا لنا خسائر جسيمة. (1985: .)سواء محيدلي، التي حظيت بلقب "عروس الجنوب

انسحبت اسرائيل جنوبا واقامت الحزام الامني" . وقام " انصار أنطون بالطبع" بالاعتداء على انطون لحد . وقامت بالمحاولة سهى بشارة التي " تآثرت بكتابات انطون، التي غدت مع مرور السنين ادبا مبدعا. وهي " التي حاكت المؤامرة

وفي الختام لا بد من طرح السؤال: ماذا كان سيحقق المشروع القومي في حال نجاحه وقيام سوريا الطبيعية؟

لا شك انه لو تسنى له النجاح كان سيحقق عدة تحولات استراتيجية وبنويوية عظيمة الأهمية وربما غير مجرى التاريخ في الشرق العربي باسره

اولا - استراتيجية، كان من شأن قيام الدولة العربية الموحدة القوية الفاعلة ، كما ارسى بنيانها انطون سعادة، ان يعيد الى الوطن العربي اهميته الاقتصادية والجغرافية والاستراتيجية وكان ذلك كفيلا بان يشكل حجر عثرة امام اغتصاب كل فلسطين ويحول دون قيام الدولة الصهيونية الموسعة او الكبرى : معادلة : الدولة العربية الكبرى في مواجهة الدولة الصهيونية الكبرى

قيام مجتمع علماني حديث على اساس فصل الدين عن الدولة مع المحافظة على الحرية الدينية - ثانيا - بنيويا للجميع من دون تشابك المصالح القومية مع التزمم الديني الطائفي الذي يشرذم المجتمع .. علاوة على القضاء

على الهيمنة القبلية والعشائرية والابوية وتحقيق المساواة بين جميع ابناء الوطن الواحد. اي قيام دولة ديموقراطية تؤمن بالمساواة بين جميع المواطنين " فلا اقلية او اثنية او عرقية او تفاضل بين الرجل والمرأة. (د. صفية انطون سعادة، محاضرة القيت في الندوة الثقافية المركزية في بيروت في 12 ايار 2004). كما صرح لوكالة الانباء الفرنسية عام 1947 فقال : " نريد جمهورية برلمانية ديموقراطية ". وعلمانية قبل كل شي

ثالثا – اقتصاديا – قيام اقتصاد عربي حديث على اساس توحيد الموارد العربية وتسخيرها في خدمة الاقتصاد العربي الكبير.

رابعا – عربيا – لو تسنى لمشروع سوريا الكبرى ان يلقي نجاحا لشكل نواة للوحدة العربية الشاملة لتضم الهلال الخصيب والجزيرة العربية ودول الخليج ووادي النيل والمغرب .. وبالتالي قيام جامعة عربية فعالة على الصعيد العربي والدولي